

شهرية وسنتها عشرة اشهر

المجلد الرابع	تونس في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠	الجزء الثالث

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حموده باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

فهرس العدد

صفحة	المقال	صاحبه

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

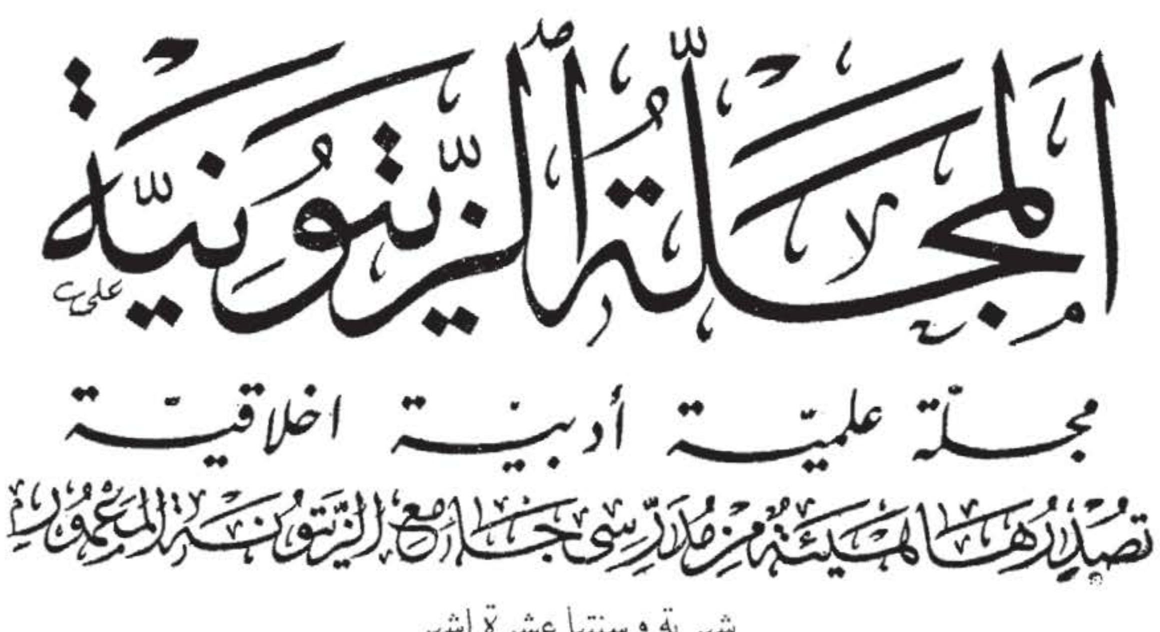
« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثالث	تونس في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣، بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧



باب قول النبي صلى الله عليه وسلم

الـدين النصيحة

لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله

الشـــرح

(٢)

بقلـم العلم الهمـام الحجة الامـام صاحب الفضيلة
الشيـخ سيدي محمد الطيب بيرم شيـخ الاسلام الحنفي

النصيحة لعامة المسلمين

النصيحة لعـامة المسلمين تكون بارشادهم الى مـا يصلح اخراهم ودنيـاهم وكف الاذى عنهـم وتعليمهم ما جهلـوه وستر عورتهم وسد خلتهم ومحبته لهم ما يحبه لنفسه وعدم غشهم واذا رأى مثلا من يفسد وضوءه اوصلاته او غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا ان يعلم انه لايسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الافقهسي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني رضي الله تعالى عنه وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك ام لا وذكر الحطاب رحمه الله في شرحه عليهـا ما يفيد حكم ذلك فقال الشاذلي ختلف اذاكان هنـاك من يشارك في النصيحة فهل يجب عليك النصيحة سواء طلبت منك ام لا كمن رأيته يفسد صلاته فقال الغزالي يجب عليك النصح وقال ابن العربي رحمه الله لا يجب .

وعندنا معاشر الحنفية انها فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين لازمة على قدر الطاقة اذا علم الناصح انه يقبل نصحه ويطاع امره وامن على نفسه من المكروه فان خشي فهو في سعة فيجب على من علم بالمبيع عيبا ان يبينه بايعا كان او اجنبيا ويجب على الوكيل والشريك والخازن .

ويكون النصح بلين ورفق لانه اقرب للقبول ولذا قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه : من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانـه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . ومن ثم قال الفضيل :

المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير وفي كلام الشيخ سيدي محي الدين رضي الله تعالى عنه ان من شرط الناصح اذا اراد ان ينصح احدا ان يمهد له بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وان يوطن نفسه على تحمل الاذى الحاصل من جهة النصح في العادة. وقد حكي ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما اقبلا على شيخ يفسد وضوءه فقال احدهما للآخر تعالى نرشد هذا الشيخ فقال له احدهما يا شيخ انا نريد ان نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغا من وضوئهما قال انا والله الذي لا احسن الوضوء واما انتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك عنهما من غير تعنيف وتوبيخ .

وروي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه: اوصيك بستة اشياء - ١ - اذا اردت ان تقع في احد وتذمه قدم نفسك فانك لا تعلم احدا اكثر عيوبا منها - ٢ - وان اردت ان تعادي احدا فعادي البطن فليس لك عدوا اعدي منها - ٣ - وان اردت ان تحمد احدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه - ٤ - وان اردت ان تترك شيئا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وانت مذموم - ٥ - وان اردت ان تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة - ٦ وان أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا ألو العزم .

وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه : قل لي في وجهي ما نكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره .

وفي منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك .

وبدأ في الحديث بالله لان الدين له حقيقة . وثنى بكتابه الصادع ببيان احكامه وثلث برسوله الهادي الى دينه الموقف على احكامه المفصل لجميع شرائعه صلى الله تعالى عليه وسلم . وربع باولى الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بشانهم . ثم خمس بالتعميم . ولم يكرر اللام في عامتهم لانهم كالاتباع للايمة لا اشتغال لهم

وانما خص اهل الاسلام بالنصح لانهم اقرب الى الاجابة من اهل الذمة أو لان النصيحة الكاملة انما هي للمسلمين بخلاف اهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا أو أن ذكر المسلمين من باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة والا فنحن ننصح اهل الذمة بالارشاد للايمان .

والتحقيق ان قبول النصح من شيم المسلمين

قال ثابت بلغني ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له العابد ما هذه المعاليق التي ارى عليك قال هذه الشهوات اصيب بها بني آدم فقال له هل لي فيها من شيء؟ قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر . قال هل غير ذلك ؟ قال لا . قال العابد لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا . قال ابليس ولله علي ان لا انصح احدا ابدا

ثم ان النصيحة كما هي فرض للمذكورين فكذلك هي فرض لنفسه بان ينصحها بامتثال الاوامر واجتناب المناهي

قوله تعالى : اذا نصحوا الله ورسوله

اول الآية : ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله .

واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما بين الوعيد في حق من يوهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الحقيقية وبين ان تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط وهم اقسام . الاول الصحيح في بدنه الضعيف مثل الشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفا نحيفا وهؤلاء هم المرادون بالضعفاء والدليل عليه انه عطف عليهم المرضى والمعطوف مباين للمعطوف عليه فلو لم يحمل الضعفاء على الذين ذكرناهم لم يتميزوا عن المرضى واما المرضى فهم القسم الثاني فيدخل فيهم اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان مصابا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة . والقسم الثالث الذين لا يجدون الأهبة والزاد والراحلة وهم الذين لا يجدون ما ينفقون لان حضوره في الغزو انما ينفع اذا قدر على الانفاق على نفسه اما من مال نفسه او من مال انسان آخر يعينه عليه فان لم تحصل هذه القدرة صار كلا ووبالا على المجاهدين ويمنعهم من الاشتغال بالمقصود

ثم انه تعالى لما ذكر هذه الاقسام الثلاثة قال لا حرج على هؤلاء والمعنى والله تعالى اعلم انه يجوز لهم التخلف عن الغزو وليس في الآية بيان انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم كان ذلك طاعة مقبولة .

ثم انه تعالى شرط في جواز هذا التاخير شرطا معينا وهو قوله تعالى « اذا نصحوا لله ورسوله » اي بالايمان والطاعة ظاهرا وباطنا كما يفعل الموالي الناصح وان يبذلوا جهدهم لنفع الاسلام والمسلمين بان يتعهدوا امورهم واهلهم وايصال خيرهم اليهم ولا يكونوا كالمنافقين الذين يشيعون الاراجيف اذا تخلفوا وهذا هو معنى النصح الذي هو الخلوص فالناصح المخلص هذا سبيله

ويستفاد من هذا الحديث امور منها ان الدين يطلق على العمل لكونه سمى النصيحة دينا وعلى هذا المعنى بنى البخاري رحمه الله اكثر كتاب الايمان . ومنها جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو مستفاد من قوله قلنا لمن . ومنها رغبة السلف في طلب علو الاسناد وهو مستفاد من قصة سفيان مع سهيل .

مبايعة جرير رسول الله على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم

المبايعة هي عقد العهد وكانت مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه في اوقات بحسب الحاجة اليها من تجديد عهد او توكيد امر فلذا اختلفت الفاظها

واخرج الشيخان من رواية الشعبي عن جرير رضي الله تعالى عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم فكان جرير رضي الله تعلى عنه اذا اشترى او باع يقول لصاحبه اعلم ان ما اخذنا منك احب الينا مما اعطيناكه فاختر . وروى الطبراني

في ترجمته ان غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة فلما رآه جاء الى صاحبه فقال ان فرسك خير من ثلاثمائة فلم يزل يزيده حتى اعطاه ثمانمائة

وقوله فيما استطعت روي بفتح التاء وضمها والمقصود بهذا التنبيه على ان اللازم من الامور المبايع عليها هو ما يطاق كما هو المشترط في اصل التكليف ويشعر الامر بقول ذلك اللفظ حال المبايعة بالعفو عن الهفوة وما يقع عن خطا وسهو . قال الخطابي رحمه الله تعالى جعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النصيحة للمسلمين شرطا في الذي يبايع عليه كالصلاة والزكاة فلذلك تراه قرنها بهما

فان قلت : لم اقتصر عليهما ولم يذكر الصوم وغيره ؟ قلت قال القاضي عياض رحمه الله تعالى بدخول ذلك في السمع والطاعة . يعني المذكور ذلك في الرواية الاخرى . والذي يظهر في دخولها في روايتنا هاته هو ان العبادات على ثلاثة أقسام بدني محض وهذا هو الصلاة والصوم ومالي محض وهذا هو الزكاة ومركب منهما وهذا هو الحج والجهاد فبذكر الاهم من كل من القسمين يدخل في ضمنه الآخر . وايضا فان من القواعد المسلمة بين اهل السنة والمعتزلة ان شكر المنعم واجب فالله سبحانه وتعالى الذي انعم علينا باخراجنا من العدم الى الوجود وركب فينا السمع والابصار والشم والافئدة والعقل وبه حكمنا في جميع الحيوانات وخلق لنا ما في الارض جميعا وبسط لنا الرزق والخيرات فواجب علينا شكره في جميع الاوقات ومن لطفه ورأفته بعباده أن جعل الصلاة الواجبة في خمسة اوقات بادية لكل احد لان التكليف بها عام يشترك فيه الحاضر والباد فبانفلاق الصبح اوجب صلاة وبزوال الشمس عن كبد السماء اوجب صلاة وبصيرورة ظل كل شيء مثله او مثليه اوجب صلاة وبغروب الشمس اوجب صلاة وبمغيب الشفق اوجب صلاة . وفيما اشتملت عليه الصلاة من الركوع والسجود والقيام والقراءة منافع للمصلي لا يسع المقام بسطها . وبالصلاة اشترك الانسان مع الملائكة فالملائكة عليهم السلام بين راكع وساجد وقائم وقاعد وبما خوله من الرزق وبسطه لنا فمن شكره عليه ان يدفع النزر اليسير منه للفقير فهو لا يضر بالغني . والفقير باخذ اموال الزكاة من الاغنياء تسد حاجته ويكفى شره ولربما يصير من الاغنياء وينتفع به غيره

فبالتنصيص على هاتين العبادتين التي اولاهما تؤدي شكر الابدان والثانية تؤدي شكر الاموال اكتفى عن التنصيص على بقية الواجبات ولهذا والله تعالى اعلم كرر سبحانه قرن الزكاة بالصلاة كثيرا في القرآن العظيم ولم يذكر الصوم وغيره معهما اكتفاء بذكر الاهم من كل نوع . وايضا ان الصلاة تتكرر في اليوم خمس مرات والزكاة تتكرر بحسب النصب في العام بخلاف الصوم فيجب في العام مرة والحج في العمر مرة . وايضا ان الصلاة عماد الدين وتنهى عن الفحشاء والمنكر ومن المنكر ترك بقية المفروضات حتى قيل ان تارك الصلاة تكاسلا كافر . فقد قال الحافظ عبد العظيم قد ذهبت جماعة

من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا لتركها حتى يخرج جميع وقتها منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وابو الدرداء رضي الله تعالى عنهم ومن غير الصحابة احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم بن عتيبه وايوب السختياني وابو داود الطيالسي وابو بكر بن ابي شيبة وزهير بن حرب وغيرهم رحمهم الله تعالى وقد وردت احاديث تشهد لما قالوه فروى احمد رضي الله تعالى عنه عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة . وروى مسلم قال بين الرجل وبين الشرك اوالكفر ترك الصلاة وابو داود والنسائي ولفظه ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة . وروى الترمذي عن عبد الله ابن شقيق العقيلي رضي الله تعلى عنه قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال سالت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قول الله عز وجل . الذين هم عن صلاتهم ساهون

قال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها . رواه البزار . وروى البخاري عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله تعلى عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم من رؤيا ؟ فيقص عليه ما شاء الله ان يقص . وانه قال صلى الله عليه وسلم لنا ذات غداة انه اتاني الليلة اثنان وانهما استبعثاني وانهما قالالي انطلق واني انطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه (اي يشدخه) فيتدهده (اي يتدحرج) الحجر فياخذه فلا يرجع اليه حتى يصح راسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق انطلق فاتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر عليه بكلوب (١) من حديد واذا هو ياتي احد شقي وجهه فيشرشر (٢) شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه قال ابو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل كما في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا انطلق انطلق

فانطلقنا فاتينا على مثل التنور قال فاحسب ان كان يقول فاذا فيه لغط واصوات قال فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة فاذا هم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك اللهب ضوضوا (٣) قال قلت ما هؤلاء قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فاتينا على نهر حسبت انه كان يقول احمر مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل عنده قد جمع حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما

(١) الكلوب بفتح الكاف وضمها وتشديد اللام هو حديدة معوجة السراس (٢) اي يقطعه ويشقه (٣) هو الصياح والفزع

ياتي ذلك الذي جمع عنده الحجارة فيفغر(١) فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع اليه كما رجع يسبح ثم اليه فغر فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كريه المرآت كاكره ما انت راء رجلا مرآت واذا عنده نار يحشها (٢) ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا ؟ قال قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على روضة معتمه(٣) فيها من كل نور(٤) الربيع واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السماء واذا حول الرجل من اكثر ولدان رايتهم قال قلت ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟ قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على دوحة (٥) عظيمة لم ار دوحة قط اعظم ولا احسن منها قال قالا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فاتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء قال قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض يجري كان ماءه المحض (٦) في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قال قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما بصري صعدا (٧) فاذا قصر مثل الربابة (٨) البيضاء قال قالا لي هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فادخله قالا اما الآن فلا وانت داخله قال قلت لهما فاني رايت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رايت قال فالا لي انا سنخبرك :

اما الاول الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة .

واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق .

واما الرجل والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني

واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا

واما الرجل الكريه المرآت الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن جهنم

واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة

قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واولاد المشركين

واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم

ولا يخفى ان رؤيا الانبياء وحي وحق فعلى الانسان ان يعمل العمل الصالح ويكثر منه لعل الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن سيىء عمله ويتوب الى الله تعالى توبة نصوح فان باب التوبة مفتوح وبساط الرحمة ممنوح ويستغفر الله العظيم فانه غفور رحيم ويكثر مما يثقل الميزان وهو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

(١) اي بفتح (٢) اي يوقدها (٣) اي طويلة النبات (٤) الزهر (٥) هي الشجرة العظيمة (٦) المحض هو الخالص من كل شي (٧) صعدا بضمتين اي ارتفع (٨) السحابة البيضاء

الرسول الاعظم

مثال الكمالات الذي به يقتدي

امانته صلى الله عليه وسلم وحفظه للعهد

ان الله تعالى جات حكمته ، ولا تبديل لسنته ، قد اصطفى من الامين سيد العرب والعجم ، وخصه بمزيد العناية السرمدية ، والشيم العلية ، واعده لتبليغ رسالته ، واداء امانته ، وعصمه من الزيغ والهذيان بما فطره عليه من قوة الارادة ، والاستقلال في الفكر ، ماكان به صلى الله عليه وسلم مثال الكمال ، شريف الخصال ، لا تؤثر فيه مزاعم المبطلين وترهات المغرضين ، الضالين ، وشيم المفسدين

فقد عرف صلى الله عليه وسلم بالسجايا الحميدة والاخلاق المرضية وعرفوه بكمال الشمائل ونعتوه بارفع الصفات من ذلك ما اشتهر به من الامانة وحفظ العهد حتى لقبوه بالامين ولم يحفظ عنه انه خان العهد ولو في حداثة سنه او عبث بامانة ودعت عنده ولنذكر على سبيل المثال ثلاث وقائع تصلح ان تكون شاهدا ومرشدا لنا على مبلغ اشتهاره صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة اما الحادثة الاولى فقصة زواجه بام المؤمنين خديجة بنت خويلد فهي توضح لنا مبلغ اشتهار امانته صلى الله عليه وسلم بين قريش .

قال ابن هشام فيما يرويه عن ابن اسحاق كانت خديجة امراة تاجرة ذات شرف ومال تستاجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظيم امانته وكرم اخلاقه ، بعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه افضل ما كانت تعطي لغيره من التجار فقبله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك فباع صلى الله عليه وسلم السلعة التي خرج بها واشترى غيرها ثم اقبل قافلا الى مكه وسلم ذلك لخديجة فلما بيع ما جاء به عليه الصلاة والسلام كان ضعف ما دفعت له او قريبا من الضعف

عند ذلك بعثت اليه خديجة تقول له يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ومكانتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق حتى دخلا على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها رسول الله عشرين بكرة واستولدها القاسم وبه كان يكني (ابو القاسم) والطاهر والطيب وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة عليهم السلام اهـ .

فقد علمت ان الباعث على هذا الزواج الميمون زيادة على شرف النسب صفاته الطاهرة التي عددتها في مناقبه فكانت صفة الامانة واسطة عقدها وأكرم بها من صفة

واما الواقعة الثانية فقصة تحكيم قريش له صلى الله عليه وسلم لما اشتد بينهم الخلاف والنزاع عند بناء الكعبة الشريفة في من يحمل حجر الركن الذي يبالغون في تقديسه فهذه رواية ابن اسحاق تقص علينا ان قريشا لما بنت الكعبة وبلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى افضى بهم الاختلاف الى الاستعداد للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم الموضوع في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال او خمسا ثم إنهم اجتمعوا في الحرم وتشاوروا وتناصفوا فخطبهم أبو أمية بن المغيرة من آل مخزوم وكان عامئذ أسن قريش فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه. ففعلوا وأصغوا لنصيحته فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد . فلما انتهى اليهم اخبروه الخبر . فقال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فأتي به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الشريفه ثم بنى عليه صلى الله عليه وسلم

والامين هو اللقب الذي كان يلقب العرب به الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل البعثة

وكذلك كانت قريش تستحفظه اماناتها ويودعون عنده ودائعهم وفي رواية ابن اسحاق ما كان بمكة أحد عنده شيء يخاف عليه التلف الا وضعه عند محمد صلى الله عليه وسلم لما يعلم من صدقه وأمانته . اه

واما الحادثة الثالثة التي تتجلى فيها امانته صلى الله عليه وسلم الى اقصى حد ويظهر كمال خلقه في محافظته على العهد فما صنعه عند ما عزم على مبارحة مكة والهجرة الى المدينة فانه خلف وراءه عليا كرم الله وجهه وامره ان يرد اماناته صلى الله عليه لاصحابها . ولم يمنعه عناد قريش وما يتوه له من الغدر لم يمنعه ذلك من الوفاء بعهده ولم يتصرف في أموالهم وهم منه في أشد خلاف .

فترشدنا سيرته صلى الله عليه وسلم مع اولئك المعاندين الجاحدين الماكرين كيف انه لم يستبح لنفسه ودائعهم ولم يتصرف في اماناتهم التي وضعوها في كفالته وتحت عهده

وامر خليفته ان يحافظ عليها حتى يسلمها لاصحابها بامان كما تسلمها منهم على الامان

فلا جرم اذا اعتبر المسلمون هذا التشريع عاما يتناول الامة باسرها حيث لا دليل يدل على الخصوصية . ويعد هذا التشريع من اسمى الاحكام التي قررتها الشريعة المحمدية السمحة حيث اعتبرت وجوب حفظ عهد المسلم لمخالفه في الدين كما يحفظ عهده مع اهل ملته . ويزيدنا تقريرا لثبوت هذا الحكم في الاسلام ما يستفاد من نعي القرآن على بعض اهل الكتاب الذين خانوا عهدهم مع غير اهل ملتهم قال تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه

بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين من سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . فبين تعالى ان منهم من يستحل اكل اموال الاميين من غير اهل ملتهم وقد حرفوا ما نهوا عنه من اكل اموال الناس بالباطل . فرد عليهم القرءان ما زعموه حيث قال : ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

تامل يارعاك الله كيف بلغ من شانه صلى الله عليه وسلم في صفة الامانة الى ابلغ حد فلم تصدر منه الهفوة المرة والمرتين كغيره من الرجال الكمل بل عصمه الله فلم يزل له قدم وهو المعصوم وحفظه الله من الخيانة التي لا تجامع الرسالة فكان الامين توطيدا لامر الرسالة وكذلك شان الرسل وما الامانة الا من اخص صفاتهم التي فطروا عليها سنة الله في انبيائه والمرسلين ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا

والفطرة السليمة الطاهرة الزكية التي فطر الله الناس عليها تقضي على البشر بحفظ العهود والوفاء بالوعود واداء الحقوق لاربابها وتمكين الامانات من اصحابها وقد جاءت الشرائع الآلهية مقررة لذلك محتمة على الناس مراعات الحرمات حرمة النفس والمال والعرض . ومن آكد الحرمات عهد الله تعالى وميثاقه الذي التزم المؤمن الوفاء له به من اتباع دينه المتين والعمل بما شرعه على لسان رسوله الامين وعهد للناس القيام به والعمل بمقتضاه لا يحيدون عنه طرفة عين ولا يبدلون احكامه الباقية ما بقت السماوات والارض . شرعة الله الذي احكم كل شيء وهو العزيز الحكيم .

والوفاء بالعهد يشمل . سائر تعهدات الانسان التي اخذها على نفسه . فيدخل فيه الامانات والودائع والقروض والديون والعقود المؤجلة والوعود

والانسان خير بطبعه واليه اميل بفطرته مع صرف النظر عن العوامل والمؤثرات مما قد يتفق له من التاثر بالبيئة والاوساط فالميل الى الخير مما اودع الله في طبع الانسان والخير كل الخير ما يحصل به نفع للنفس ونفع للناس وجماع ذلك كله ان تحب لاخيك ما تحب لنفسك كما جاء في الصحيح من حديث المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه

والانسان الكامل يفعل الخير ويجد فيه لذة ويجتنب الشر وتعرض نفسه عنه لانه ليس من مقتضيات فطرته ولا تميل اليه نفسه الزكية ومن صدر منه الخير أو الشر يعلم كل العلم ان الناس تحمد الاول وتمقت الثاني وتمجد الخير وتهين الشرير

ثم ان الفرق عظيم بين الخير والشر وذلك يرجع في اصله الى ان الخير وجودي والشر عدمي كما افصح عن ذلك الامام ابن قيم الجوزية حيث يقول ان الشر كله يرجع الى العدم اعني عدم الخير واسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر واما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه وضرب لذلك مثلا حيث قال

ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة وانما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها اه

وبهذا نعلم ان اصل الفطرة صافيه نقية كمشكات في زجاجة فهي تضيء بحسب الوان المؤثرات فيها والانسان على نفسه بصيرة يجدها حيث وضعها فليتبصر اين يضعها

ثم ان العهود اذا لم يوف بها اختل امر الدين لان الوفاء آية الدين البينة بل محوره الذي عليه مداره وكذلك تفسد المصالح الدنياوية لبطلان ثقة الناس بعضهم ببعض . والثقة روح الحياة ، وملاك النظام ، واساس العمران ، لاجل هذا كان الوعيد من الله تعالى على نكث العهد اشد ما نطق به القرآن واغلظه قال تعالى في محكم التنزيل :

ان اللذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ،

فقد ذكر سبحانه في هذه الاية الشريفة جزاء بائعي العهود الخائنين اهل الغدر والاخلاف ونوعه الى اربعة اصناف كل صنف منها خطير في ذاته شديد في وقعه واي عقاب اشد من عقاب من لاخلاق له في الاخرة ولا نصيب له من النعيم فيها ولا ينظر الله اليه ولا يزكيه بمضاعفة حسناته واعماله الصالحة ولا يطهره من ادران ذنوبه بالعفو والمسامحه ويكون جزاءه عذاب الله الاليم وذلك نتيجة منتهى الغضب

فليعلم الخائن للعهد والمفرط في الامانة ما هو قادم عليه من فرط غفلته واهماله او تعمده وضلاله حتى ويعود الى رشده ويقلع عما جنته يمينه ما دام في الوقت متسع وفي الحياة فسحة امل

اجل ان الزنا وشرب الخمر والميسر من الكبائر الموبقات ولكن الله لم يتوعد مرتكب هذه الجرائم الفتاكة بمثل ما توعد بـه ناكثي العهود .وخائني الامانات مـا ذلك الا لعظم مفاسد النكث والخيانة التي يعود ضررها على المجتمع والجريمة كلما كان خطرها اشمل كان وزرها اعظم

والمسلم قد اخذ الله عليه العهد في محكم التنزيل بعد ايمانه به وتصديقه بما تضمنه من انواع التشريع ان يلتزم الصدق والوفاء فيما يتعهد به ويتعاقد مع غيره عليه ويؤدي الامانة الى اهلها فتكون خيانته لعهده مع البشر سيما اذا اكد العهد بالقسم خيانة لعهده مع الله تعالى وذلك هو الخسران المبين .

وقد ذكر سبحانه وتعالي جزاء أهل الوفاء المتقين فقال وهو اصدق القائلين :

بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين . فقد تضمنت الآية الكريمة أن من أوفى بعهده الذي عاهد به الله او الناس ، واتقى الاخلاف والغدر والاعتداء فان الله يحبه فيعامله معاملة المحبوب فيجعله محل عنايته ورحمته وأولئك هم الفائزون .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الاسلام دين وحدة
وائتلاف

الاسلام دين التوحيد والوحدة قال الله تعالى مخاطبا لنبيه الذي ارسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس مما كانوا فيه من العمى والضلال الى نور الحق وواضح الهدى « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »

فالاسلام لما جاء وجد البشر اجناسا متفرقين واصنافا متشاكسين يتعادون في الانساب والالوان واللغات والاوطان والاديان والمذاهب والمشارب والشعوب والقبائل حتى ليبلغ بهم الامر احيانا الى التقاتل والتناحر فصاح بهم صيحة ملات فضاء العالم وبلغت حدود المعمورة دعا الناس بها الى الوحدة الانسانية العامة ونهاهم عن التفرق والاختلاف الموجب للتعادي وبين مضار هذا التفرق والاختلاف بالشواهد العلمية والتاريخية

فهذا اصلاح انساني جديد جاء به هذا الدين الجديد ويرجع في مجمله الى تقرير اصل جامع وهو جعل الناس امة واحدة وعلى ملة واحدة ودين واحد وشرع واحد كما ان اصلهم واحد وربهم واحد .

ثم انك اذا تتبعت تفصيل هذا الاجمال في مظانه من القرآن والسنة وجدته يظهر في مواطن اذا تمت وحدة البشر فيها تم لهم الخير اجمعه والكمال الانساني المنشود لكل ارباب المدارك والعقول .

الموطن الاول وحدة الامة قال الله تعالى في سورة الانبياء مخاطبا اهل الدين الجديد « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون »

ولما كان الانبياء السابقون يبعثون الى اممهم خاصة وبعثة هذا النبي الخاتم الى الناس كافة كانت لا محالة وحدة امته وحدة عامة شاملة لجميع البشر .

الموطن الثاني وحدة الانسانية وذلك بالمساوات بين اجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم ويشهد له قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقد بلغه النبي في حجة الوداع حيث تلا الآية ثم قال ما معناه ان ليس لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود فضل الا بتقوى الله ولا شك ان هذه الوحدة الانسانية تتضمن الدعوة الى التآلف بالتعارف والى ترك التعادي بالتخالف .

الموطن الثالث وحدة الدين وذلك باتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي

جاء به غيره من الرسل واكمله هو بما يوافق المصالح الحقيقية لجميع البشر ويشهد له قوله تعالى (يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)

الموطن الرابع وحدة التشريع وذلك بالتسوية بين الخاضعين لاحكام الاسلام في جميع الحقوق المدنية والزجرية بالعدل التام المطلق بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والملك والسوقه والغني والفقير والقوي والضعيف والعظيم والحقير ويشهد له شواهد كثيرة من الكتاب والسنة في اغلب مظان التشريع للقواعد العامة التي تجب مراعاتها في الاحكام المختلفة التي اهمها في الاسلام تحري الحق والعدل والمساوات في الحقوق والشهادات والاحكام وحفظ المصالح ودرء المفاسد ومراعات الاعراف ودرء الحدود بالشبهات وكون الضرورات تبيح المحظورات وكون ما للضرورة يقدر بقدرها ودوران المعاملات على اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل

وحسبك من الشواهد القرءانية الدالة على ايجاب العدل وتحريم الظلم تأكيد الله تعالى الامر به والمساوات فيه بين جميع الناس في السور المكية والمدنية فالعدل اساس الاحكام وميزان التشريع وقسطاسه المستقيم قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا اوتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وقال يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ، فالله تعالى امر المؤمنين في هذه الآيات ونحوها مما جاء على شاكلتها بالمبالغة في القيام بالقسط وهو العدل وعدم التهاون والتقصير فيه وبان تكون شهادتهم في المحاكمات وغيرها لله عز وجل لا لهوى ولا لمصلحة قريب او حبيب ولو كانت على انفسهم او والديهم او أقرب الاقربين اليهم وان لا يحابوا فيها غنيا تقربا اليه لغناه ولا فقيرا رحمة به وشفقة عليه لفقره ونهاهم عن اتباع الهوى في الحكم والشهادة وأنذرهم عقابه ان لووا اي مالوا عن الحق أو أعرضوا عنه بالكلية وان لا يحملنكم بغضكم لقوم وعداوتكم لهم على ترك العدل فيهم فالعدل بالمساوات اقرب الى تقوى الله وانه تعالى خبير بما يعمله كل احد لا يخفى عليه منه شيء فهو يحاسبه على عمله ويثيبه او يعاقبه على ما يعلم من امره .

ويؤيد ما ورد في اقامة العدل ما جاء في تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه فقد ذكر الظلم في القرآن في مواضع تربو على المائتين اسوأ الذكر وقرن بأسوإ العواقب وان الناس هم الذين يظلمون انفسهم ولا يظلم ربك احدا وورد في بيان اثره وعاقبته في الدنيا انه مهلك الامم ومخرب العمران قال تعالى وما ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون . وقال وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا .

ومما هو جدير بالالتفات اليه في هذا الباب آية الامراء في كتاب الله من سورة النساء وهي قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا .

قال العلماء نزلت الآية الاولى في ولاة الامر عليهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل ونزلت الثانية في الرعية عليهم ان يطيعوا اولي الامر الا ان يأمروا بمعصية الله فاذا امروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء ردوه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا شك ان اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل هما جماع الخطة العادلة والولاية الصالحة .

وللشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية ان اداء الامانات فيه نوعان احدهما الولايات وهو كان سبب نزول الآية فيجب على ولي الامر ان يولي على اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل قال صلى الله عليه وسلم من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة ارضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين رواه الحاكم في صحيحه وقد دلت سنة رسول الله صلم في مواضع كثيرة على ان الولاية امانة يجب اداؤها ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قيل يا رسول الله وما اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة .

والنوع الثاني الاموال ويدخل فيه الاعيان والديون الخاصة والعامة مثل رد الودائع ومال الشريك ومال اليتيم واهل الوقف كما قال تعالى في الديون فان أمن بعضكم بعضا فاليؤد الذي أؤتمن امانته وليتق الله ربه .

كل هذا من العدل والقسطاس المأمور باقامة بين الامة ليأمن الناس على حقوقهم ويعم الامن والطمأنينة قريبهم وبعيدهم عظيمهم وحقيرهم فينصرفوا لما فيه نفعهم وتنتشر الفضيلة بينهم وتنعدم اسباب الشر والخلاف منهم فتكمل بذلك وحدتهم ويتم تآلفهم الذي به كمال سعادتهم في الدنيا والآخرة

الموطن الخامس الوحدة الدينية وذلك بالمساوات بين المتبعين لهذا الدين في اخوته الروحية وعباداته الاجتماعية كالصلاة ومناسك الحج فملوك المسلمين وامراؤهم وكبراؤهم يختلطون بعامتهم في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة المشرفة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال في حق المشركين فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين .

الموطن السادس من مواطن الوحدة وحدة القضاء واستقلاله ومساوات الناس فيه امام الشريعة العادلة نعم يستثنى من ذلك الاحكام الشخصية الدينية فان الاسلام يراعي فيها حرية العقيدة والوجدان فهو لذلك يسمح لغير المسلمين في امور الزوجية ونحوها ان يتحاكموا الى رؤساء مللهم فان تحاكموا الينا فاننا نحكم بينهم بعدل شريعتنا والاصل فيه قوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق .

وقد جاءت السنة النبوية على غرار القرآن الكريم في تقرير وحدة الامة في جميع المواطن المتقدمة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينكر على المسلمين كل نوع من انواع التفرق الذي ينافي الوحدة التي دعا اليها وجعلهم امة واحدة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقد عمل الاسلام على تقوية الشعور بالوحدة في كثير من المظاهر فصلاة الجماعة خلف امام واحد يجمعهم ويوحدهم افضل درجات من صلاة مع التفرق وكذلك امر المسلمون بالاجتماع في الاعياد والحج الاكبر كل ذلك تنمية للشعور بالوحدة وتقوية لها كما هدم نظام التعصب للجنسيات وساوى بين الجميع في الاخوة وجعل الفضل للتقوى وهكذا عند التأمل نجده يرمي الى الوحدة في مختلف التكاليف ذلك لان الوحدة اساس الاصلاح واساس العزة والسلطان وبها تجتمع القوى ويوجد التعاون بين الافراد لبلوغ الغايات وتسنم ارفع الدرجات بخلاف التفرق والانقسام فانه موزع للقوى فشخص يبني وشخص يهدم وشخص يهاجم وآخر يدافع .

وبالجملة فقد مدح الله الوحدة وذم التفرق وانذر من يحيد عن الوحدة في مواضع من كتابه العزيز قال تعلى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

على ان شريعة الله في الحقيقة واحدة وهي التي اوصى بها الانبياء السابقين ثم اكملها لخاتم المرسلين « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .

والمراد من الدين الموصى به هؤلاء الانبياء والمأمور باقامته وعدم التفرق فيه الامور التي لا بد منها لكمال النوع الانساني وهي العقيدة الصحيحة بالله واليوم الآخر والكتب والانبياء والتوصية بالفضائل التي تعود على المجتمع الانساني بالخير والفلاح كالصدقات والاحسان والوفاء بالعهد والصدق واصول العبادات المهذبة للنفوس والتي يتبعها كل الخير .

نعم اختلفت الشرائع في صور العبادات ورسومها وفي القوانين المنظمة للتعامل وذلك لاختلاف استعداد الامم وبيئاتهم وهذا الذي يختلف باختلاف العصور والاستعدادات هو الذي عناه القرآن في قوله : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

ولا شك ان في تعريف المسلمين بهذه الحقيقة وهي ان الشريعة واحدة عند الجميع تثبيتا للمسلمين لان الشيء اذا كان معروفا تتابعت عليه الامم في الاعصر المختلفة ولم يكن بدعا كانت النفوس اكثر تقبلا له مما كان بدعة .

وقد كرر القرآن هذه الحقيقة في مواضع متفرقة « انا احينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .

محمد الهادي ابن القاضي

اعجاز القرآن

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

ان الله جلت حكمته وتمت كلمته قد اودع في تركيب الانسان ثلاث قوى رئيسية هي قوة العقل والادراك وقوة الشهوة وقوة الغضب وجعل سعادته وسعادة بني جنسه منوطة باعتدال هاتيك القوى وعدم خروجها عن محيط الاعتدال الى طرف الافراط او التفريط حتى اذا خرجت احداها عن ذلك المحيط فارقت صاحبها السعادة ونزل بـه الشقاء وربما تسبب في سلب سعادة غيره من جراء ذلك .

فلهذا السبب كان الانسان لا مندوحة له من قانون حكيم يكون وازعا له عن الخروج عن الدائرة التي ضمنها سعادته وسعادة بني جنسه عامة وهذا الوازع هو الدين بلا ريب اذ العقل مهما ترقى في درجات الكمال لا يستطيع بمفرده ان يلم بجلب كافة المصالح ودرء عامة المفاسد عن النوع البشري الا بمعونة الدين وبارشاد الدين اذ لو خلي العقل ونفسه لسن قوانين تقوم مقام التشريع السماوي لاحتاج الى ازمنة متطاولة تحصل له فيها التجربة الكاملة لاختبار ما سنه من الانظمة من حيث الصلاحية او ضدها ولاضطر في كثير من الاحايين لنقض ما احكمه منها وحل ما ابرمه لتبين خطاه فيه اذ العقل البشري معرض للخطا دائما ، على ان الدستور الآلهي هو انفع واجدى للمتدين به حق التدين ولبني جنسه اذ يكون المتمسك به اشد مراقبة لنفسه حتى لا تتجاوز ما حد لها شرعا لاعتقاده انه وان خلا بنفسه فهو بمرأى ومسمع من آلهه الذي يعلم السر واخفى والذي هو اقرب اليه من حبل الوريد وانه يجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا وان ثوابه لا يعادله ثواب وعقابه لا يوازيه عقاب وأنى تجد هذا المعنى لدى غير المتدين الذي وان خاف من صولة الحكام والولاة فهو لا يعدم حيلة تخفي عنهم جريمته وتستر عن اعينهم خطيئته فلهذه الحكمة البالغة ولسواها مما لا يسعه هذا المقام جرت عادة الباري جل وعز بارسال الرسل لكافة الامم امة فامة وعصرا فعصرا كما قال جل شانه (وان من امة الا خلا فيها نذير) وذلك لسن النظم والشرائع الجالبة لمصالحهم الدارئة للمفاسد عنهم وجعل دليل صدق اولئك الرسل آيات بينات اجراها على ايديهم مقرونة بالتحدي قد خرجت عن مقدور البشر عادة لتقوم على المعاند الحجة وتتضح لغيره المحجة ثم قفي على آثارهم بامام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم في وقت عم فيه الضلال ارجاء العالم وتفشت المظالم والمنكرات بين عامة اهله وجعل شريعته خاتمة الشرائع لما انطوت عليه من قواعد ونظم عامة صالحة لكل زمان ومكان ولكل

امة على احتلاف الاجناس والالوان تنتظم مصالح الدنيا والدين وتتكفل بسعادة الحياتين وفي ذلك اقول من اثناء قصيدة :

وما السبب الاقوى لكل سعادة ‏ ‏ سوى سبب الاسلام والغير زخرف
وناهيك من دين يجر سعادة الـ ‏ ‏ ـحياتين ما ينفك للحق يكنف
يحظ على التقوى ويدعو الى العلى ‏ ‏ وبالجد في اعمال دنياك يهتف

هذا وقد ايد الله سبحانه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثر جليلة القدر اعلاما بصدق رسالته وايذانا بحقية دعوته ولقد بلغ بها القاضي ابو بكر بن العربي عدا واستقصاء الى الف معجزة وذكر الامام النووي أنها الف ومايتان ثم هي على كثرتها ووفرة عددها لا تعدو ثلاثة اصول القرآن الحكيم والسيرة المحمدية الشريفة والمعجزات الحسية المروية عنه صلى الله عليه وسلم وغرضنا اليوم منحصر في الاصل الاول ألا وهو :

« اعجاز القرآن »

ان من تدبر آي الذكر الحكيم حق تدبرها تجلى له من وجوه اعجازه ما يبهر العقول ويستهوي الالباب وتقف النفوس امامه حيارى سكارى بلاغته ووفرة علومه وحكمه وما هم بسكارى كل حسب استعداده ومؤهلاته

ولكن تأخذ الافهام منه ‏ ‏ على قدر القرائح والعلوم

وبقدر ما يزداد تدبرا لمعانيه يزداد في شانه استبصارا وله اجلالا واكبارا كما روي ان صاحب المثل السائر كان يختم القرآن مرة في كل اسبوع فلما دقق النظر في بلاغة القرآن واعجازه جعل يقرؤه مرة في كل شهر فلما ابعد النظر في ذلك صار يختمه مرة في السنة ثم لما امعن في غور حكمته قال انه امضى سبع سنين في تلاوته وما فرغ منه . فلله معان احتواها . ما اغلاها قيمة واعلاها . والفاظ على منصة الابداع اجلاها . وحكم من اصداف العلم القديم أبداها . وعلوم انطوى عليها لا يصل العقل الى مداها .

ما ينقضي نظري منها الى رتب ‏ ‏ في الحسن الا ولاحت فوقها رتب

ثم ان وجوه اعجاز القرآن كثيرة راجعة بحسب ما يظهر الى اربعة اصول الاول بلاغته واسلوبه الخارجان عن طوق البشر الثاني اخباره بالمغيبات مما كان او يكون الثالث جمعه لما يرتبط بمصالح الدين والدنيا على وجه يفوت مقدور البشر عادة الرابع غزارة علومه واحتواؤه على دقائق علمية لم تنكشف الا بعد قرون متطاولة من نزوله

(النوع الاول) من انواع اعجاز القرآن بلاغته واسلوبه الخارجان عن طوق البشر .

جرت سنة الله العليم الحكيم ان المعجزة الكبرى لكل نبي تكون من نمط ما نبغ فيه قومه فكانت معجزة الكليم عليه السلام قلب العصا حية الشبيه بما مهر فيه قومه من السحر فادركوا بما أوتوا من معرفة هذا الفن ان ما اتى به من قلب العصا حية وابتلاعها لحبالهم وعصيهم ليس من نوع السحر الذي هم اعرف الناس به ولذلك اسرعوا بالايمان بما جاء بـه موسى عليه السلام ولزمت الحجة من سواهم بالتبع .

وعلى هذا النحو جاءت معجزات المسيح عليه السلام وهي احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لما ان قومه كانوا مولعين بفن الطب فكانت معجزاته شبيهة بمـا يفعله الاطباء الا انها خارجة عما في طوقا لاطباء الاتيان به .

وجريا على هذه السنة كانت معجزته العظمى عليه الصلاة والسلام وهي القرآن من جنس مـا نبغ فيه قومه فنزل عليه به الروح الامين بلسان عربي مبين وهو صلوات الله وسلامه عليه بين عرب خلص أقحاح ولعوا بفنون البيان وتباروا في ميادين القول فسبقوا الى غاياتها واحرزوا على قصباتها حتى اشير اليهم بالبنان وملكوا من الفصاحه والبلاغة كل عنان قـرع اسماعهم فادركوا بلوغه في الفصاحة والبلاغة الى الشأو الاعلى والدرجة الرفيعة بسبب مـا اشتمل عليه من وفـرة المعاني الدقيقة وكثرة الخصوصيات والمعاني الثواني التي هي مناط التفاضل بين البلغاء مع ايجاز العبارة ولطف الاشارة وحسن الديباجه وجمال الاسلوب واحكام الوضع مما وجدوا انفسهم بعيدين عنه بمراحل لا تحوم عقولهم حول مقامه الاسمى ولا تحلق افكارهم بجوه الذي تنحط عنه الجوزاء فما عتموا ان ألقـوا اليه بالمقاليد وظلت اعناقهم له خاضعين .

تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فما استطاعوا الى ذلك سبيلا قال تعلى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال جل اسمه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وتحداهم ان ياتوا بعشر سور مثـل سورة فما قدروا على ذلك وما وجدوا عن عجزهم تحويلا قال تعـلى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الآية وتحداهم ان ياتوا بسورة من مثله ولو كانت اقصر سورة فخرسوا وما نبسوا قال تعلى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله هذ امع كونهم اهـل اللسان وارباب الفصاحة والبيان لا يشق لهم غبار ولا يجارون في ذلك المضمار ورضوا بتعريض رقابهم للسوف ونفوسهم للحتوف بمحاربة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه الاشداء رضي الله عنهـم ماذاك الا لتيقنهم انهم عاجزون عن معارضته فاخذوا يقاومونه مقاومة سلبية كقولهم فيمـا حكاه القرآن عنهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وجعلوا يدعون ان في استطاعتهم الاتيـان بمثله دعوى مجردة كذبها الواقع كقولهم فيما حكاه القرآن عنهم ايضا لو نشاء لقلنا مثل هذا .

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها أدعياء

ولما أعجز القرآن العرب من هذه الناحية كان معجزا لغيرهم من الامم بالاولى .

نعم ان كثيرا من العرب اعترفوا باعجاز القرآن وكونه من عند الله فبعضهم اسلم واذعن وبعضهم كابر وعاند فمن الفريق الاول جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير للاسلام وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي . ومنهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لان قلبه حين سمع سورة طه وسال عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر انه في دار ارقم بن ارقم فذهب اليه وآمن به واعز الله به الاسلام وغيرهما كثير ومن الفريق الثاني الوليد ابن المغيرة تلا عليه النبي صلى الله عليه قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وروى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وروي أن روميا ورد من بلاد الروم مسلما فسئل عن سبب اسلامه وكان يحسن العربية فاخبر انه سمع بعض اسرى المسلمين ببلاد الروم يتلو آية من القرآن وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى لله ويتقه فاولئك هم الفائزون فتأملها فوجدها جمعت ما انزل على عيسى بن مريم عليه السلام من احوال الدنيا والآخرة وحكى الاصمعي انه سمع جارية تتكلم فقال لها ما افصحك فقالت له او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وبالجملة فكون القرآن اعجز ببلاغيه وحسن بيانه وبداعة اسلوبه مصاقع البلغاء من العرب العرباء لا يسع احدا انكاره ولو كان من اشد اعداء الاسلام فهو الآية الناطقة بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم على ممر الدهور واختلاف العصور

ولنتم الحديث في هذا القسم من وجوه اعجازه بايراد عبارة لامام البلاغة عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته تفصح عما قلناه آنفا قال : لولا انهم (يعني العرب) حين سمعوا القرآن وحين تحدوا اليه والى معارضته سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله وانهم رازوا انفسهم فاحسوا بالعجز عن ان ياتوا بما يوازنه او يدانيه او يقع قريبا منه لكان محالا ان يدعوا معارضته وقد تحدوا اليه وقرعوا فيه وطولبوا به وان لا يتعرضوا لشبا الاسنة ويقتحموا موارد الموت ثم بين وجه عجزهم عن معارضته بقوله : اعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها ومجاري الفاظه ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه واعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وبيان وبهرهم ان تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شانها او يرى ان غيرها اصلح هناك أو اشبه او احرى او اخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول واعجز الجمهور ونظاما والتئاما واتقانا واحكاما لم تدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع حتى خرست الالسن عن ان تدعي وتقول وحديت (اي زجرت) القروم فلم تملك ان تصول اه (يتبع)

الفتاوى والاحكام

جرى في عرف الموثقين في بلدنا - تونس - انه اذا دعاهم من يريد ان يوقف داره او مخزنه او علوه او غير ذلك من الرباع المبنية للاشهاد عليه بالوقف فانهم يطلبون الاذن من احد مشايخ المجلس الشرعي في تحمل الشهادة بذلك وكتبها في الصك .

وقد سال المنعم الشيخ حسن عباس شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه برد الله ضريحه عن هذا الاستئذان هل له اصل شرعي ؟ فاجابه : بان ذلك ليس له اصل شرعي يوجبه وانما هو امر احتياطي من جهة ان الواقف ربما يقف ربعا خرابا لا يصلح لبقائه وقفا فاذا وقفه يحتاج بعد ذلك للمعاوضة وربما تقع المعاوضة على وجه يؤدي الى ضياع الوقف من اصله فاذا استاذنوا احد المشائخ فانه يسأل عن ذلك الربع هل هو صحيح مستقيم فاذا اخبره من يثق به بانه صحيح مستقيم فانه ياذن العدلين بتحمل الشهادة والا فلا ياذن لهما في ذلك .

فان اذن لهما يتلقونها ويكتبونها في رسم ذلك الربع واذا لم ياذن لهما لا يتلقون تلك الشهادة انتهى كلام شيخ الاسلام نقله عنه الشيخ حسن عباس ونقله عن الشيخ عباس الشيخ الشاذلي ابن القاضي رحمهم الله جميعا

سؤال

امرة حاضنة لولدها اختلفت هي وأبوه في مكان ختانه فقال الاب نختنه عندي وقالت الام لا بل يختن عندي ؟

الجواب

اجاب المنعم المبرور الشيخ سيدي احمد كريم شيخ الاسلام برد الله ثراه : بأن الولد يختن عند امه لان الحضانة حقها على ما عليه الفتوى وحينئذ فلا يختن عنده بل عند امه . نعم اجرة الختان على من ياتي به فان اتى به الاب فعليه وان اتت به الام فعليها . اه

قال المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي أقول ان الاب اذا طالبته الام في الاتيان بالختان فانه يجبر عليه قال في القنية في باب من يجب عليه الأجر من كتاب الاجارة : ان اجرة الاديب والختان في مال الصبي ان كان له مال والا فعلى ابيه واجرة القابلة على من دعاها ولا يجبر الزوج على استيجارها لانها كالطبيب . اه وهو نص في ان الاب يجبر على ختان الولد من مال نفسه ان لم يكن للولد مال .

والحاصل ان الاب يجبر على الاتيان بالختان لختن الصبي فاذا أتى به كما هو الواجب عليه كانت الاجرة عليه اذا لم يكن للصبي مال واما اذا لم يأت به الاب وأتى به غير الاب من غير أمر الاب بذلك ولم يجبر من جهة القاضي وختن الصبي فان اجرته على الذي أتى به وهو متبرع في ذلك فلا رجوع له على الاب لان من أدى واجبا عن غيره بغير أمر فهو متبرع به فلا يرجع عليه كما صرحوا به .

(١) هذا في عرف السائل والمجيب رحمة الله عليهما اي من منذ ستين عاما . وقد بطل هذا العرف وصار الاشهاد بالوقف لا يتوقف على الاستيذان من الحاكم الشرعي . بل يتلقاه الشاهد راسا من الواقف . والعرف يتبدل بتبدل الازمان وتغاير البلدان .

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

محنة اهل القيروان

في عام ١٢٤٩

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

لمدينة القيروان منذ القديم منزلة غبطة واعتبار في نظر عموم سكان هذه الديار وذلك لما امتازت به هذه المدينة المختارة من الوديعة النبوية الشريفة الناشئة عن ضم تربتها الطيبة لهاتيك الشعرات النبوية المطهرة (١) التي اشتمل عليها قبر سيدي ابي زمعة البلوي (٢) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويستفاد مما نقله المؤرخون والكاتبون الثقاة ان هذه الشعرات اخذها ابوزمعة

(١) من المشهور ايضا ان العاصمة التونسية توجد بها شعرات نبوية فقد ذكر الشيخ محمد بن سالم الحمامي الخلوتي عند شرحه لبيت من ابيات بردة الامام البوصيري وهو قوله : لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه الخ عن الشيخ ابن الدباغ قوله : وقد تواتر الخبر لدينا ان بدار الاشياخ بتونس وهي المدرسة المرجانية المعروفة شعرات من شعره عليه السلام ارانيها حفيد الشيخ المرجاني فتبركنا بها وعنده بذلك براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره صلى الله عليه وسلم اه باختصار من كتابنا تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

ويستفاد مما ذكره الوزير السراج في الحلل السندسية ان هنالك شعرة اخرى من شعره عليه الصلاة والسلام ومقرها مقبرة الزلاج دفنت مع الشيخ الشهير بابي شعرة المزار ضريحه لهذا الزمان بالمقبرة المذكورة وقضية هذه الشعرة هو انه كان لبعض الاكابر بناءات ضخمة تجمع لمعلم البناء الذي باشر تشييدها اجور وفيرة بذمة صاحب تلك الدور والقصور وكان في ملكية هذا الرجل المثري شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فلما اراد دفع الاجور التي بذمته لمستحقها قال له معلم البناء اعطني الشعرة النبوية التي عندك وانا ابرأك الله من جميع ما ترتب لي بذمتك فأعطاه اياها فاوصى بدفنها معه فدفنت معه تواتر النقل بذلك بين الناس ومما يعجبني الاشارة اليه هنا ان الاقدار ساعدت على دفن صاحبنا المرحوم ابي الحسن علي بو شوشة مدير جريدة الحاضرة جوار قبة الشيخ ابي شعرة رضي الله عنه

واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

(٢) اسمه عبد وقيل عبيد بالتصغير ابن ارقم البلوي ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن الاثير في اسد الغابة في عبد وفي عبيد قال وهو مشهور بكنيته وقيل اسمه عبيد ابن ءادم والذي في معالم الايمان عبيد الله بن ءادم مات رضي الله عنه سنة ٤٨ للهجرة على اشهر الاقوال

من الشعر الشريف يوم منى في عام حجة الوداع لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ووضعها ابو زمعة في قلنسوته الى ان استشهد في القيروان فدفنت معه . قال في معالم الايمان انه اوصى رضي الله عنه ان تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه

هذا هو السبب الاصلي في تلبس مدينة القيروان بالصبغة المباركة التي ازدادت نورا وحبورا بما اشتملت عليه تربتها من قبور جماعة كثيرين ءاخرين من صحابة وتابعين واولياء واشراف وعلماء عاملين . أضف لذلك ان القيروان كانت في القرون الاولى هي ام العواصم الافريقية وناهيك بامرائها من بني الاغلب الذين اخذوا حظهم من استقلالية الحكم برضاء خلفاء بني العباس وحكموا البلاد مدة طويلة وكانت لهم يد عاملة في تمصير مدينة تونس بما احدثوا بها من المرافق والاسوار وغير ذلك من دواعي العمران . فتكون من مجموع ما قدمنا مع تعاقب القرون مركز خاص في النفوس بين سكان الديار التونسية لمدينة القيروان وساكنيها وتاصل هذا الشعور في اذهان الناس الى العصور المتاخرة لا سيما بعد مناصرة اهل القيروان للمولى حسين باي بن علي تركي راس البيت الحسيني خلد الله ملكه وانضمامهم لحزبه ضد حزب الثوار الملتفين حول الباشا علي باي الاول اواسط القرن الثاني عشر للهجرة الشريفة . واتفق بعد نحو مائة عام من ذلك العهد ان الوزير حسين باش مملوك اساء التصرف في اموال البايليك حيث حسن في نظر الباي ورجال الديوان المضاربة في الزيت بطريقة السلم لفائدة صندوق الدولة فصارت الدولة تشتري الزيوت من ملاكة الزياتين قبل نضج الصابة باسعار بخسة بقصد بيعها بعد ذلك للتجار باثمان باهضة فتسبب عن ذلك افلاس فلاحة الزيتون في الاجل القريب لان من لم توف صابته بما تعهد بدفعه من الزيت للبايليك يغصبه الوزير على اشتراء ما نقصه بالمال الناض باسعار مشطة ليتمكن الوزير باش مملوك من تسديد ما عليه من مطالب الزيت الذي تحمل ببيعه بمقتضى اتفاقات مع التجار الاجانب وانتبه الباي لو خامة العاقبة فعزل الوزير حسين باش مملوك واقام مقامه الوزير شاكير صاحب الطابع وفوض له الامر لتدارك تلك الحال وشاكير هذا كان مشهورا بالحذق وسداد التدبير في شئون الاقتصاد فارتحل توا الى الساحل بنية تصفية الحسابات الناتجة عن تصرف سلفه واخص من ذلك بقصد جمع كمية وافرة من الزيوت من ملاكة الزيتون بعنوان اعانة للدولة لتدفعها للتجار الاجانب فانكر بعض اهل مساكن سلوك الوزير ورفضوا دفع الاعانة المطلوبة منهم ولاذوا بمقام الصحابي سيدي ابي زمعة البلوي بالقيروان تفصيا من الاعانة المذكوره فامر الوزير شاكير باخراجهم من مامنهم بالقوة القاهرة الامر الذي اثار غضب لفيف اهل القيروان بمسعى من رجل اسمه سعد اللوز الذي كان ينادي في الناس : يا اهل القيروان هكذا يهتك حرم السيد الصاحب وحرم القيروان . قال المؤرخ الشيخ احمد ابن ابي الضياف : فلباه جمع من وغاوغ الرعاع وانضاف اليهم ءاخرون واجتمعت العامة

وعجزت الخاصة عن ردهم ومنعوا الهاربين قهرا ثم حملوا السلاح واتوا الى الاعيان يشيرون للواحد منهم بالسلاح ويقولون له ترضى هتك حرم السيد الصاحب ولا بد ان يقول لا. فاذا قالها قالوا له انت معنا فيقول لهم وهو ينظر الى السلاح الموجه نحوه نعم ثم ياتون ءاخر وهكذا تداس السباع بايدي الضباع اه

لما راى اعوان الوزير شاكير القادمين على القيروان لاخراج الهاربين الملتجين بمقام ابي زمعة والتوجه بهم لسوسة ان تنفيذ الاذن الوزيري الذي بيدهم يجعلهم عرضة للخطر فازوا بالفرار وركبوا ادهم الليل الى سوسة واخبروا الوزير شاكير بما راوه من ضجيج العامة فاستفزه الغضب ورفع الامر الى مسامع المولى حسين باي الثاني قالوا ان سلوك عامل القيروان يومئذ وهو من ءال المرابط المشهورين كان مشبوها فيه لانه هول الامر عند اعلامه للوزير شاكير بالنازلة بحيث ان مكتوب الوزير للباي تضمن عبارة « خروج اهل القيروان عن الطاعة وانه لا بد من تلافي الحال قبل سريانه » ومقتضى هذه الاشارة وجه الباي عقدا من الخيل برئاسة صالح بن بلقاسم كاهية وجق الصبايحية بتونس وكان صاحب راي وسياسة فبعد ان اجتمع بالوزير شاكير بسوسة سار الى القيراون وعند الوصول اليها تحقق ان البلاد لم تخرج عن الطاعة لان اهلها تلقوه بصناجق الاولياء ورحبوا بقدومه فتمكن من الجماعة المثيرين للهرج وعاد لباردو مصحوبا بجمع من اعيان القيروان واشرافها وعلمائها منهم الباش مفتي الشيخ محمد بن بكار صدام فلما مثلوا بين يدي الباي لامهم عما صدر من بعضهم من العقوق ثم امر بضرب جماعة من اللفيف الذين شاركوا في الهرج بالسياط قال الشيخ احمد ابن ابي الضياف : ودام الضرب فيهم من الضحى الى الظهر الا انه كان ضرب هداية وتاديب لا ضرب قتل بتعذيب لان الباي لما امر بضربهم قام للخروج من المحكمة وامر الموكل بالضرب وهو الرجل الخير محمد الطبرقي اوضه باشي المماليك بالتخفيف والرفق وقال له اضرب ضرب تربية لا ضرب انتقام اه

بعد هذا قال الباي لا بد من خطيئة يعني عقوبة مالية على عامة اهل القيروان وكان في حسبانه ان يخلص شيئا ويترك شيئا . ثم امر رجال الوفد القادمين عليه من القيروان بالرجوع الى سوسة لمقابلة الوزير شاكير فلما مثلوا لديه خاطبهم بعنف وشدة واهان عالمهم وامام جامع عقبه بن نافع وان هو ندم بعد حين عن صدور ذلك الشذوذ منه وفي ذلك المجلس اعلمهم بانه ضربت عليهم خطيئة قدرها خمسمائة الف ريال وانه قادم على الاثر لخلاصها وفعلا توجه بوقته الى القيروان وباشر استخلاص ما مكنته سطوته من خلاصه بدون رفق ولا حنان قالوا انه الزم مؤدب صبيان على دفع حصته في الخطيئة وقدرها له بخمسمائة ريال والمؤدب لا يكسب خمسة ريالات فاضطره لبيع اثاث بيته والواح مكتبه لدفع بعض ما ضرب عليه وليقس ما لم يقل فكان اهل القيروان يومئذ في زلزلة ساعة سكارى وما هم بسكارى وهذه المصيبة التي حلت بدارهم دعت احد اعيانهم وهو الشيخ محمد بن عطاء الله السلمي (١) لنظم قصيدة فريدة في استرضاء الباي واستمناح شريف عواطفه نحو اهل القيروان

(١) كان يقرئ السيرة النبوية باحدى زوايا الحومة القبلية بالقيروان وكان رخيم الصوت يحرك وجدان سامعيه وكان مع ذلك صاحب اقدام وحمية ونفس ابية فصيح اللسان بليغ البيان ثابت الجنان توفي رحمه الله اواخر جمادى الاولى عام ١٢٥٠ وقد رثاه بعض الافاضل من خلانه بقصيدة هذا بيت تاريخها .

فعند ما ابصرت عيني الخليل ثوى   بقبره ارخت : مات الذكي الادبي

وهذه القصيدة التاريخية لم يسبق ظهورها في عالـم الطباعة لذلك ءاثرت نـقلها هنا برمتها عن كناش الاديب الشيخ حسين بن مصطفى الترجمان وهذه عبـارتها بعد مقابلتها بنسخة ثانية منها سمحت بهـا مكارم احد احفاد الناظم رحم الله السلف وبارك في الخلف .

الصبر للمرء خير يا ابن ذي كـرم … فلازم الصبر كي تشفى من الالـم
لا تجـزعن وكـن بالله معتصما … فخالق الخلق ذو فضل على الامم
من كان مستنصرا يومـا بسيـده … نال المنى والرضا من باريء النسم
ياصاح انبيك عن ريب الزمان وما … بالقيروان جرى للناس من عـدم
لاجل اوباشها عتـوا بفرعنـة … فعم فيها القضا من كان في نعـم
وكل من كان من اهل السداد بها … الفيته حائـرا والدمـع كالديم
فما تـرى واحدا الا ويركض في … سعي الخلاص لنـقد عنـه مرتسم
يفر مجتهـدا بالرهن مغتبطـا … نحو النصارى لجني الفلس مغتنم
كي يستريح من الامر المهول وما … اصابه من شديـد السب والنقـم
يالهف نفسي على صبـرا وزينتهـا … وعن كرام بهـا من سادة الحـرم
جار الزمان عليهـا بالنكال وقـد … اساءها بمزيـد الضـر والسقم
فاصبحت بلقعا قفـرا وليس بهـا … شيء يناوله شخص لـذي رحـم
حكم الالـه على المخلوق ابرمـه … فرضنا بالقضـا ياواسع الكـرم
ماكان في ظننا ان الامير لـه … حرص يـؤول به للمحق والعدم
ويسمع النقص من واش له غرض … ووصفه الافترا والصدق عنـه عم
هذا من السيد المولى الجليل جرى … فلا محيد على مـا خـط بالقلـم
بالله يا ملـكا جاد الزمان بـه … رفقا بقـوم غدوا في غايـة السقم
اهملتنا بعد ما قد كان يألفنـا … من السيادة حصن غيـر منهـدم
لو كنت امضيتنا بالسيف اهون من … مقت لنا من عدو غيـر محتشم
قد ادعى اننا رمنـا الشقـاق على … مليكنا ورمى الاقوام في ضـرم
لكنه الصبر اولى فالرحيـم اذا … ضجت اليه عبيد جـاد بالنعم
فقد رجوناك يا فخر الملوك ويا … نسل المليك لدفـع الحادث العمم
الحلم عادتكـم والعفـو شيمتكم … والصفح زينتكم يا منتهى الكـرم
حاشاك ترضى جلاء القيروان اذا … ما كنت انت لهـا يومـا فمن بهم
فنطلب الله رب العـالمين بمن … له الشفاعة يـوم الحشر في الامم
ان يلهم السيد المـولى الامير لما … فيه الرضى والشفا لكـل ذي سقم
وان يعطف وزيرا حاز مرتبة … برايه عند اهـل المجد والشيـم
ليتبع الامـر ممن كان ذا سبـب … ويذهب البـاس عن جيـران متهم
بجاه خيـر نبي جـاء مبعثـه … للعالمين هدى والنـاس في ظلـم
محمد خاتم الرسل الكـرام ومن … يكون يـوم الجزا غوثا لمنعـدم
صلى عليه الـه العرش خالقنـا … ما قام ذو طرب يسعى الى الحرم
فعدة النظم « لب » يا خليلي وقد … ارخت : والخلق في ضيق من الالم

١٢٤٩

محمد بن الخوجه

القضاة الشرعيون في القديم

بقلم العلامة النحرير فضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

الاجمي

هو ابو عبد الله محمد الاجمي من شيوخ الامام ابن عرفة في الفقه قال في كتاب الشهادات من مختصره الفقهي : ولقد اخبرني بعض من يوثق بخبره الفقيه القاضي ابو محمد « كذا » الاجمي وهو احد شيوخي في الفقه الخ

ولي القضاء بعد ابن عبد السلام قال الزركشي في تاريخ الدولتين صفحة ٧٤ . وبعد وفاته « اي ابن عبد السلام » ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه المفتي ابو عبد الله محمد بن محمد بن هارون الكناني فغصب منصبه فيه بولاية قاضي الانكحة ابي عبد الله محمد الاجمي . يقال ان ابن عبد الرفيع رمى بنفسه على ابن تاسكرت وكان مكينا في الدولة المرينية وقال له ان توسطت لي في خطة القضاء فانا اوليك عدلا بتونس فلم يزل الآخر يتمثل الى ان وقع الشرط ومشروطه ، وذلك ان الاجمي كان قاضي الانكحة فنقل لقضاء الجماعة ثم ان الاجمي اقام مدة يسيرة وتوفي فقيل يقدم ابن هارون فقال ابن تاسكرت جرت العادة بان قاضي الانكحة هو الذي يتولى قضاء الجماعة ووطد لذلك بانه من بيوتات تونس فولاه السلطان بواسطته اهـ كلام الزركشي بنصه

وفي هذه القصة « ان صحت » من العبرة ان خطة العدالة كانت لها المنزلة العليا حتى يتعلق بنيلها من ينتهي به نفوذه الى السعي في تولية القضاة

وقد ترجم الشيخ بابا في نيل الابتهاج هذا القاضي وقال في شانه : احد فقهاء تونس وقاضي الانكحة بها أخذ عنه الامام المقري وقال انه حافظ فقهائها في وقته اهـ واخذ عنه ايضا الخطيب ابن مرزوق وابن عرفة ونقل عنه في مختصره قصة في اجرة الشهادة توفي سنة ثمان واربعين وسبعمائة افادنيه بعض اصحابنا اهـ كلامه والصواب ان وفاته سنة تسع واربعين باثر ولايته القضاء

« ابن عبد الرفيع »

هو ابو حفص عمر بن عبد الرفيع بيته من بيوتات العلم الوجيهة بتونس ولي قضاء الانكحة وقضاء الجماعة خلفا من بعد الاجمي فيهما وولي امامة جامع الزيتونة وتوفي سنة ٧٦٦ . كذا في تاريخ الدولتين صحيفة ٨٨

يتبع

عود لعقود الانكحة في تونس

اشتمل المصراع الاخير من القصيدة المدرجة بالصحيفة ٤٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع على غلط حيث جاء فيه :

« عقد سعيد بان السعد قد عضدا » وصوابه « عقد سعيد بباب السعد قد عقدا » وبهذا الاصلاح يكون تاريخ القصيدة موافقا لسنة العقد التي اقتضاها اي سنة ١٢٠٤ لا كما جاء رسمه في الاصل الذي نقلت منه القصيدة المذكورة

محمد بن الخوجه



موشح ابن المعتز ومعارضاته

احرز موشح ابن المعتز (١) على شهرة فائقة بين الادباء قديما وحديثا فتباروا لمعارضته ومن اشهر معارضاته ، معارضة ابن بقي الاندلسي الغرناطي ومعارضة علم الدين ايدمر المحيوي - وقد نظم اخيرا الشاعر الكبير شيخ الادباء بتونس السيد العربي الكبادي موشحا في معارضته ، وخص المجلة الزيتونية بنشره - فاردنا ان ننشر هنا موشح ابن المعتز مع معارضاته المشار اليها - على ترتيبها

موشح ابن المعتز

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع
وندیم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقض من سكرته
جذب الكأس اليه واتكى وسقاني اربعا في اربع
ما لعيني عشيت بالنظر !
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت ، فاسمع خبري :
عشيت عيناي من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكا ويحه ! يبكي لما لم يقع !
ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومي عذلوا واجتهدوا
انكروا شكواي مما أجد
مثل حالي حقه ان يشتكى كمد الياس وذل الطمع
كبد حرا ودمع يكف
يذرف الدمع ولا ينذرف
ايها المعرض عما اصف
قد نما حبي بقلبي وزكا لا تقل في الحب إني مدعي

---

(١) هو أمير المومنين ابو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله بويع بالخلافة بعد خلع المقتدر وجلس على دست الخلافة يوما وليلة ثم خلع وبويع المقتدر ثانيا فقتل ابن المعتز . وهو معدود من اعيان ادباء المائة الثالثة ولد سنة ٢٤٩ وتوفي سنة ٢٩٦

وهو اول من صنف في البديع جمع سبعة عشر نوعا منه وله ديوان ضخم والف التصانيف النفيسه

موشح

ابن بقي القرطبي (١)

عبث الشوق بقلبي فاشتكى　　ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لا ينصف

كم أداريه ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا　　بسهام اللحظ قتل السبع

بدر تم تحت ليل أغطش

طالع في غصن بان منتشي

أهيف القد بخد أرقش

ساحر الطرف وكم ذا فتكا　　بقلوب الاسد بين الاضلع

أي ريم رمته فاجتنبا

وانثنى يهتز من سكر الصبا

كقضيب هزه ريح الصبا

قلت هب لي يا حبيبي وصلكا　　واطرح اسباب هجري ودع

قال خدي زهره مذ فوفا

جردت عيناي سيفا مرهفا

حذرا منه بان لا يقطفا

ان من رام جناه هلكا　　فأزل عنك علال الطمع

ذاب قلبي في هوى ظبي غرير

وجهه في الدجن صبح مستنير

وفؤادي بين كفيه أسير

لم أجد للصبر عنه مسلكا　　فانتصاري بانسكاب الادمع

(١) هو ابو بكر يحيى ابن بقي (بوزن علي) القرطبي قال صاحب القلائد في وصفه رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض اقام شعرائه ، واظهر روائعه ، وصار عصيه طائعه ، اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى باحسن من رقم البرود وطفا عليه حرمانه ، فما صفاله زمانه . اهـ

موشح علم الدين ايدمر (١)

عهد البين الى عيني البكا ثم اوصاها بان لا تهجعي
وسقى قلبي من خمرته
فهو لا يعقل من سكرته
فمتى ينقذ من غمرته
في سبيل الحب قلب هلكا شيع الركب ولما يرجع
قال لي العاذل لما نظرا
من غدا قلبي به مشتهرا !
أكذا تعشق ماذا بشرا ! ؟ !
حاش لله اراه ملكا مثل ذا فاعشق والا فدع
هز عطف الغصن من قامته
مطلعا للشمس من طلعته
ثم نادى البدر من ليلته :
ايها البدر تغيب ويحكا ما احتياج الناس للبدر معي ؟
انا علمت القضيب الميدا
واستعار الظبي مني الجيدا
وكذا القرم من آل الندى
ابصر الغيث نداه فحكى وهو ان ظن سوى ذا مدعي
من جميع الفضل يحيى عنده
ليس للدين بمحيي وحده
قال للتالي عليه حمده :
لي حسن الذكر والمال لكا فاقترح تعط وناد تسمع
آخذ بالحزم لا يتركه
في سوى الجود بما يملكه
لا ترى في المجد من يشركه
وهو في المال كثير الشركا ومن الحمد كثير الشيع

(١) قال في فوات الوفيات : ايد مر المحيوي فخر الترك عتيق محي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى . وقال في كتاب المشرق في أخبار المشرق نشا في الدوحة السعدية فنمت ازهاره وطلع بالسماء البيانية فتمت زواهره جمعت لافنانه انواع الفنون والعلوم حتى خرج آية في كل فن وبرع في المنثورو المنظوم . وهو من شعراء الملوك الايوبيين نظم في مدحهم القصائد المطوله فقد نشا في دولتهم وتقلب في نعمهم وصاحب خاصتهم كالوزير الصاحب بهاء الدين زهير كاتب انشاء الملك الصالح ايوب والصاحب محيي الدين محمد وفيه نظم هذا الموشح مادحا ومهنئا له بالعيد وغيرهما فهو من ادباء المائة السابعة

انت يا موسى رجائي آنسا
نار جدواه فوافى قابسا
رحت في حضرة قدس دائسا
في طوى السؤدد فاخلع نعلكا وادعه يأت بكبرى يوشع
لرشيد الامر اضحى عاضدا
رايه المأمون حزما راشدا
ولديه الفضل يحيا خالدا
فدعوا جعفر وانسوا برمكا فالندى في غيره عين الدعي
انت مذ كنت الرئيس الاعظم
غير خاف والاعز الاكرم
كدت من طول التعالي تسام
رتب السؤدد لكن صدكا كرم العهد وحفظ الموضع
لك في كل مكان مفخر
اثر يروى ومجد يذكر
فبقاع الارض لولا العنصر
هزها الشوق فسارت نحوكا ولكم رامت فلم تستطع
قد مضى الصوم ملاقي ربه
جاعلا سرك نجوى قلبه
وأتى العيد فهنئت به
فهو قد هنئ من قبل بكا وابق في ذروة عز أمنع
وامش في روض التهاني واركض
واصحب الدهر الى أن ينقضي
ولئن هنئت بالعيد الرضي
فلكل الدهر يلقى عندكا بهجة العيد وأنس الجمع
رب يوم قد رايت الافقا
خائفا بالبرق ان يخترق
وبدا البدر مروعا مشفقا
لابسا لما تجلى فنكا وبدت شمس الضحى في برقع
وكأن الجو حرب تصطلى
قد اثار الغيم فيها قسطلا
فانتضى البرق عليه منصلا
فبكى الغيث حيا اذ ضحكا خافق القلب مروع الاضلع
فاقتدح بالمزج نار القدح
نصطلى ان نحن لم نصطبح
واغنيك ولم تقترح
ايها الساق اليك المشتكى كم دعوناك وان لم تسمع

موشح الشيخ الكبادي

من لصب ذاب من فرط البكا　　واقتقاد النوم عند المضجع

كلما الراح بدت في كاسها
تنعش الاموات في ارماسها
واستطاب الطيب من انفاسها

زاده الشوق شجونا فاشتكا　　الم الهجر وسوء المصرع

من بني الترك كحيل طرفه
اعجز الكهان سحرا ظرفه
وسبى العشاق طرا لطفه

ان لي من حبه ما تركا　　زفرات قد اذابت اضلعي

ويح قلبي من هوى الغيد الحسان
كيف القاه بوادي الافتتان
فهو في كل زمان ومكان

سالك في حبهم ما سلكا　　لست القاه ولو يوما معي

قل لمن اسرف من اهل الملام
في انتقاد المصطلي نار الغرام
دع ملام الصب واذهب بسلام

واجتنب لوم الذي قد هلكا　　وهو من عذاله لم يسمع

ايها الاهيف يكفي ما جرى
من صدود منع الجفن ألكرى
وفؤاد باللهيب استعرا

صرت في الحسن فريدا ملكا　　فاتق الرحمان في صب نعي

ولكنها زادت لتلعب بالنهى … الى الغاية القصوى اساطينها الملد
وما قيد الالحاظ منها كمركز … موات وامواه الحياة به تعد
لمعنى ترى الانحاء منها ثمانيا … فهل هي الا من جنان به الخلد
والقت على ظهر الطريق وسادها … لئلا يلاقي الغبن في قصدها الوفد
وتبصر من قرب مريدا تووده … وتسمع بدءا صوت من قصده الرفد
فحسب من استغنى من الضيم وقفة … وحسب الذي ياتي لعادتها العود
واعظم بها والبرج يكفت ذيلها … كجالسة قعسا وكرسيها طود
ولو نطقت قالت له كيف كنت لي … ومن بيننا فيما طبعنا له بعد
طبعت على التقوى فاقبل من دنا … وادنو لمن ينای ومن طبعك الطرد
فاين مخيفات بها كنت تحتمي … امن قدر ياتي به الصمد الفرد
وها انا ذا وجهت وجهي لوجهه … ومن ذكره ما دمت في الدهر لي ورد
وبعت المغاني بالمثاني ونشوتي … بما قال جمال الحديث به يشد
كفتني من المولى القوي حماية … وما بعد عون الله في شدة جند
على ان بالاسناد لي لك حرمة … عليك لمن اولاكها يجب الحمد
هو السيد الباشا الذي بكماله … واكماله ما ينبغي كمل الحد
مرادي علي ابن الحسين ومن يقل … له في النهى ثان فقولته رد
اذا عد من وفى بكل مليحة … وقيل علي اول وقف العد
سقى قصره هذا وكل قرارة … يحل بها سار من اللطف ممتد
دعاء اجاب الله من قد دعا به … وتاريخه بيت به اونس السعد سنة ١١٨١
بحرمة من وافى الى الناس رحمة … فزالت به البأسا وتم به الرشد
عليه صلاة لا يحاط بقدرها … يحاط بها عن فيض باب الرضى السد
ويدخل باني البيت في حصن درعها … فتحفظه حفظ الحمى الحافظ الجلد
وفي حرز بسم الله وهي وجيهة … يحق بها المبدا ويزكو بها العود

ومن شعره ايضا فيها

جددوا الانس بالمقام الجديد … ما على شوقنا له من مزيد
فاصحبوا للسرور كل موات … واحفظوا الجمع من حضور البليد
هذه قبة السرور دعتكم … كيف تناون عن قباب السعود
طلعت للوجود من علم غيب … طلعة النجم من سحائب سود
او كغيداء جملت للتجلي … الحقوها العقاص بعد العقود

وله فيه مهنئا بعيد الاضحى واشار فيها الى اسباب عزمه على تجديد

قنطرة وادي مليان واجاد في تشبيه اقواس القنطرة

تنعمت في الاضحى باحظى من الفطر … كذاك ترى حاليك في اطول العمر
تودع ما استدبرت لا عن ملالة … وتصحب ما استقبلت منشرح الصدر
وتبدي لك الايام ما بعد عشرها … كعاشر يوم في الطلاقة والبشر
فمنها تهني باتصال جديدها … ومنك تهنى بالامان من العسر
ولولا اتباع الدين لم يدر حاضر … زمانك ان العيد في عاشر الشهر

فان عن مني شطوا فمنزلك النوى … وتلك اللهى ترمي بها بدن النحر
وما في استوا الايام في الطيب بدعة … كايام عيسى وهو منك على ذكر
يمينك قد البستها الامن ضافيا … وقصرتها وهي الطوال عن الحصر
تسرك سراها فان لاح لائح … من الضر فيها كنت حريا على الضر
براي اذا ما الخطب اظلم ليله … تطلع من تلقائه صادق الفجر
وعدل يعم العف والبر ظله … ويصلى حليف الحيف منه بلا جمر
وحلم تزول الراسيات وطوده … كما هو لا يصغى لساع ولا مغر
وبسط نوال فيه سويت من دنا … وذا الناي والكاسي النبيه وذا الطمر
واقرضت وجه الله فيه تحننا … على خلقه قرضا يلاقيك في الحشر
وقفت وقد مرت بك الحال مرة … باحوال مليان على شاطىء النهر
فعاينت في ذاك المجال مداحضا … قريبا لمن يمشي به نازح الغور
فمن حمل يهوي على ام راسه … ومن فرس ينحط بطنا الى ظهر
ومن ذي حمار ضاع قوت صغاره … وولى وقد اشفى الحمار على الكسر
فايقظت عزما لم يكن قبل نائما … واصبحت حزما لم يكن قبل في سكر
وخلصت ما بين السلامة والردى … بجسر بديع الوضع يا لك من جسر
اذا وصل التيار ظل فنائه … علته سيوف منه سلت من الصخر
والقت على الانحاء افلاذ بطنه … وقالت له هذا الجزاء على الجور
تمد له حتى تفرق جمعه … وهي صموت وهو يحمل في زئر
على انها خمس لوت بخميسه … على انه الجرار في واسع القفر
قوائم قامت مثل خود تعانقت … لترقص او تاتي لوعد على قدر
وصاغت من الابريز منظوم تاجها … (١)
تروقك حتى لا ترى كاعتدالها … وملبسها المرقوم بالبيض في الصفر
واعجب من ذا ان مليان كله … تصب في اجوافها وهي لا تدري
فاصبح من تلك المهالك ملجأ … يلوذ به الساعون في القر والحر
وبرأته من وصمة الظلم جاعلا … براءته فيما توخيت من اجر
فلا حجر الا واعجلت حقه … ولا عامل الا واحكمت في الاجر
وانت الذي سابقتهم فسبقتهم … على انك المذكور في ءاخر الدهر
وفكرت بعد الجسر في كسب خصلة … تزيدك اعلاء ولم ترض بالنزر
والفيت ميت العلم للملك ثانيا … فالحفته من ثوب عمرك بالشطر
وجاريت في ميدانه كل فارس … بصير بما ياتي من المد والجزر
وخاطبت منهم حلبة السبق فانثنت … وكنت المجلي بين فرسانها العشر
وكم طيرت من مكمن البحث نكتة … بعثت لها من سرب فهمك بالنصر
فمرت الى ذات اليمين فردها … تصر الى ذات الشمال على الفور
فما هو الا ان علاها فاخلدت … الى الارض من قبل الدنو من الوكر
وما فتن الالباب مثلك ناطقا … باسهل الفاظ على المطلب الوعر
وقتك اذى العيان في ذاك حسبة … تـرد على اعضائه شهقة المكر

(١) بياض بالاصل